

80

قَصص

الأنبياء

محمد

(صلى الله عليه وسلم) (24)

بنو قينقاع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ
الَّذِينَ إِذَا أَتَاهُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْدِيهِمْ





لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَقَدْ أَعَزَّهُ
اللَّهُ (تَعَالَى) وَأَعَزَّ دِينَهُ ، وَأَذَلَّ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَفَّارَ ،
لَمْ يَسْتَقِرَّ بِالْمَدِينَةِ سِوَى سَبْعِ لَيَالٍ ، ثُمَّ خَرَجَ عَازِيًا
لِبَنِي سُلَيْمٍ ، فَلَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ كَيْدًا وَلَا مَقَاوِمَةً ..

ثم حدثت غزوة الشويق .. وسبب هذه

الغزوة أن أبا سفيان بن حرب ، لما رجع كفار قريش
مهزومين من بدر ، وقد قتل أشرافهم وساداتهم ، قد
أقسم أن يغزو النبي ﷺ ، فخرج أبو سفيان يقود
مائتي رجل من قريش ، فنزلوا خارج المدينة ، ثم
تسلل أبو سفيان بالليل ، حتى وصل إلى حصون بني
النضير ، فطرق باب سلام بن مشكم ، سيد بني
النضير ، ففتح له واستضافه وأكرمه ، وقص عليه
أخبار النبي ﷺ وأصحابه ..

وفي اليوم التالي أرسل أبو سفيان رجلاً من أصحابه ،
وأمرهم بحرق نخل المسلمين في المدينة ، فحرق
هؤلاء الرجال بعض النخل ، وقتلوا رجلين من الأنصار ،
ثم رجعوا لأبي سفيان ..

ولما علم الرسول ﷺ بذلك ، خرج مع أصحابه
لمطاردتهم ، ففر أبو سفيان ومن معه إلى مكة تاركين
الكثير من الطعام والأمتعة ، فأخذها المسلمون
غنيمة لهم ..

ثم غزا الرسول ﷺ غطفان ، فلم يلق كيِّداً
منهم ولا مقاومة ، فرجع إلى المدينة ..

ثم غزا يهود بني قينقاع ، وكان الرسول ﷺ لما
رجع من غزوة بدر ، قد جمع اليهود في سوق بني
قينقاع ، ثم قال لهم :

- « يا معشر يهود ، احذروا من الله ، مثل ما نزل
بقريش من النعمة ، وأسلموا ؛ فإنكم قد عرفتم أني
نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله
إليكم » ..

فقالوا له :

- يا محمد ، لا يغررك أنك حاربت قوما لا علم لهم
بالحرب ، فهزمتهم ، والله لئن حاربناك لتعلمن من
نحن ..

فأنزل الله (تعالى) قرآنا يتهدد فيه اليهود لكفرهم
وتكذيبهم بالله ورسوله ، ويتوعدهم بالهزيمة والنفي
من المدينة ..

قال (تعالى) :

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
وَبَشِّرِ الْمُبَادِلِ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِ الثَّقَاتِ فِتْنَةٌ
تُفَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ
الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً
لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

(الأنعام ١٢، ١٣ من سورة آل عمران)



وقد كان يهود بنى قينقاع أول يهود نقضوا

ما بينهم وبين النبي ﷺ من عهد وميثاق ..

وسبب ذلك أن يهود بنى قينقاع قد سحروا من
امرأة مسلمة في سوقهم وتذروا عليها ، فلما
استنجدت بالمسلمين ، وثب رجل من المسلمين على
صانع يهودي فقتله ، فهجم اليهود على المسلم
فقتلوه ، فوقع الشر بين اليهود والمسلمين ..

وحاصر رسول الله ﷺ يهود بنى قينقاع في دورهم
وحصونهم ، حتى استسلموا وخضعوا ونزلوا على
حكمه ﷺ ..

فقام عبد الله بن أبي بن سلول - زعيم المنافقين -
مدافعاً عن اليهود : لأنهم كانوا حلفاء وحلفاء
الخروج قبل الإسلام ، وقال للرسول ﷺ :
- يا محمد ، أحسن في موالى ..

فلم يرد عليه الرسول ﷺ ، فقال :

- يا محمد ، أحسن في موالى .

فأعرض الرسول ﷺ عنه ، فأدخل ابن سلول يده
في جيب درع رسول الله ﷺ ، فقال له النبي ﷺ :

- « أرسلني » (أى اتركني) ..

وغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا ، ثم قال :

- « ويحك ! أرسلني » ..

فقال ابن سلول :

- لا والله ، لا أرسلك ، حتى تحسن في موالى ..

لقد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة
واحدة ؟ ! والله إنى رجل أخشى الدوائر ..

فقال النبي ﷺ :

- « هم لك » ..

وكان رسول الله ﷺ ، قد حاصرهم خمسة عشر

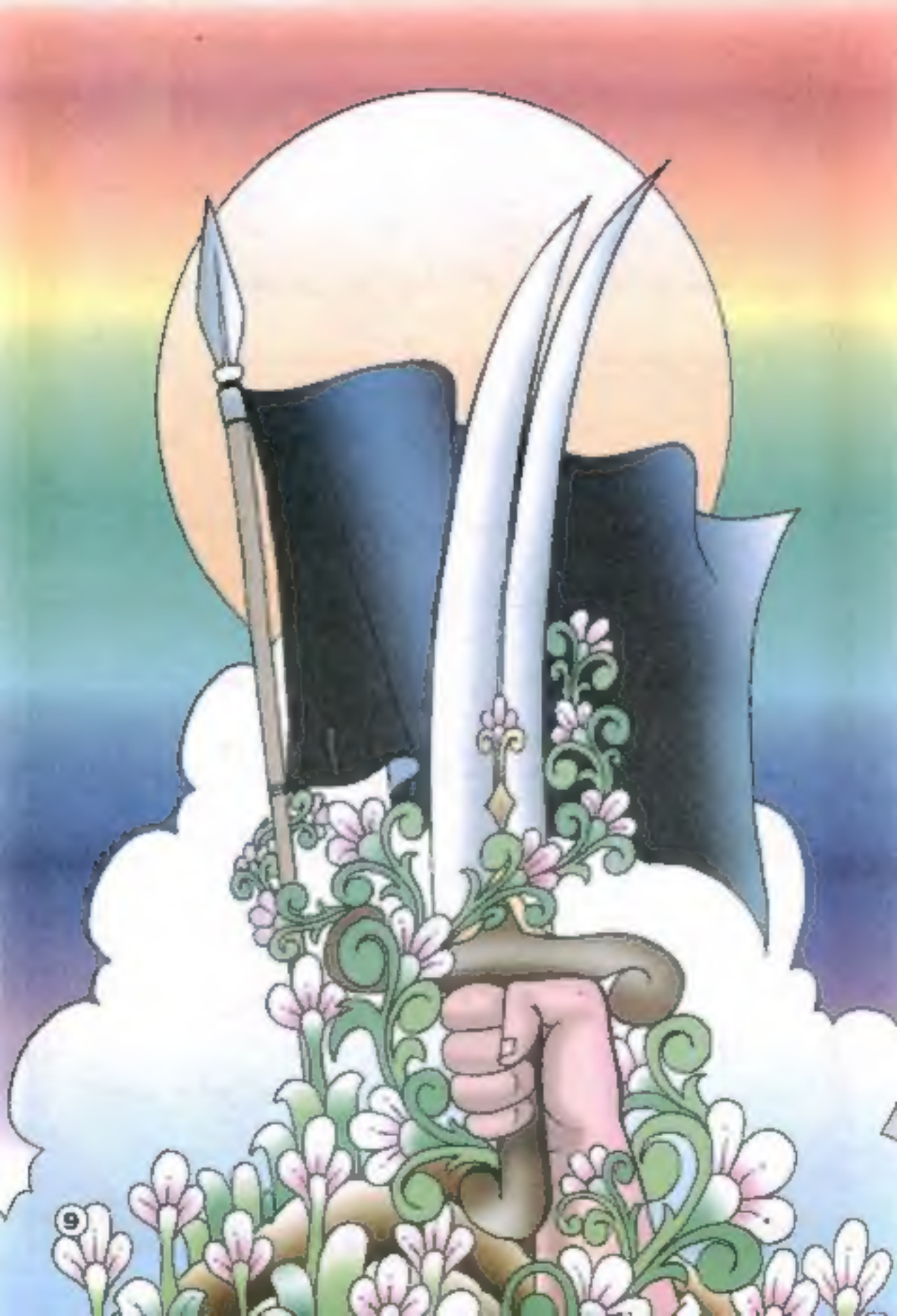
يوما ، حتى أمكنه الله (تعالى) منهم ..

وكان الصحابي الجليل عبادة بن الصامت
حليفاً لليهود بنى قينقاع ، مثل ابن سلول ، فخلع
حلفهم وتبرأ منهم ومن حلفهم إلى الله ورسوله ،
ولم يدافع عنهم مثل ابن سلول ، فذهب إلى رسول
الله ﷺ ، وقال :

- يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله والمؤمنين ،
وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم ..

ولم يقتل النبي ﷺ يهود بنى قينقاع برغم أن الله
(تعالى) قد أمكنه منهم ، فوافقوا على أن يخرجوا
من المدينة ، وأن يتركوا أموالهم غيمة لرسول الله ﷺ ،
فأمر الرسول ﷺ عبادة بن الصامت بإخراجهم من
المدينة ، وأخذ الرسول ﷺ أموالهم وأسلحتهم ،
فوزعها على المسلمين ، وذهبوا إلى الشام ، فاستراح منهم
المسلمون إلى الأبد ؛ لأنهم خانوا الله ورسوله ..

وكان من بين اليهود رجل يقال له كعب بن
الأشرف ، وكان يؤذى رسول الله ﷺ



ويَهْجُوهُ فِي شَعْرِهِ ، وَكَانَ يُكْنَى لِلْمُسْلِمِينَ

حَقْدًا كَبِيرًا ..

ولذلك حزن ابن الأشراف حزنا شديدا عندما علم
بانتصار المسلمين في غزوة بدر ، ومقتل صناديد
الكفر من قريش يومها ، وراح يقول :

- ويلكم ، أحقا قتل محمد أشراف قريش ١٩
هؤلاء أشراف العرب ، وملوك الناس .. والله لو كان
محمد قتل هؤلاء القوم ، فما في الحياة بعدهم خير ..

ولما تيقن عدو الله من انتصار المسلمين ، وهزيمة
قريش ، سافر إلى مكة ، ونزل ضيفا على المطلب
ابن عبد شمس ، فأكرمه ، وأخذ يحرض على رسول
الله ﷺ ، وعلى حربه والانتقام لقتلى قريش ..

فقال له أبو سفيان :

- أستحلفك بالله ، يا ابن الأشراف ، هل ديننا

أحب إلى الله . أم دين محمد وأصحابه ؟

فقال ابن الأشراف

— أنتم أهدي من محمد وأصحابه .

ولما سأله كفار مكة عن النبي ﷺ وأصحابه قال

— أنتم خير منه وأهدي سبيلا .

ولما انتهى ابن الأشراف من تحريض أهل مكة على

النبي ﷺ وأصحابه ، عاد إلى المدينة ، فاحد يؤدى

النبي ﷺ والمسلمين ويهجوهم في شعره ، وراح

يتعمد في بساء المسلمين ويدكرهم في شعره .

فقال النبي ﷺ لأصحابه

— « من لى ناس الأشراف »

فقال محمد بن مسلمة -

— أنا لك به يا رسول الله . أنا أقتله .

فقال له النبي ﷺ :

« فافعل ، إن قدرت على ذلك » .

فرجع محمد بن مسلمة ، وطل ثلاثة أيام لا يأكل
إلا ما يُقيم به أوده .. فذكر الصحابة ذلك لرسول الله
ﷺ ، فدعا محمد بن مسلمة إليه ، فقال له

« لم تركت الطعام والشراب ؟ » .

فقال ابن مسلمة

« يا رسول الله ، قلت لك قولاً ، لا أدري هل أفيئ
لك به ، أم لا .. »

فقال ﷺ :

« إنما عليك الجهد .. (أي السعي) » .

فقال ابن مسلمة

« يا رسول الله ، إنه لا بد لنا من أن نقول شيئاً
نخدعه به .. »

فقال النبي ﷺ



- « قولوا ما بدا لكم ؛ فأنتم في حل من ذلك » .

(أى قولوا له ما ترونه ، فليس عليكم إثم من ذلك ؛
لأن غايتكم هي قتل عدو الله وعدو دينه) ..

وأخذ محمد بن مسلمة معه بعض الأنصار ، وذهبوا
لابن الأشرف ، فأوهموه أنهم جاءوا يبيعون له سلاحا ؛
ليشتروا بثمنه طعاما ..

فقال لهم ابن الأشرف :

- لقد كان قدوم محمد عليكم بلاء ، عادتكم
العرب بسببه ، وأصابكم الفقر والحاجة ..

وراح يهجو النبي ﷺ ، فجاراه ابن مسلمة ومن معه ،
حتى لا يشك في أنهم جاءوا يقتلونه .. ثم طلب
منهم أن يأتوه ليلا ؛ ليشتري منهم ما شاءوا ..

فذهبوا إليه ليلا وقتلوه ، فاستراح المسلمون

من شره ..

وكان اليهود أشد الناس عداوة للنبي ﷺ ولأصحابه في المدينة . كما كان الكفار والمشركون أشد الناس عداوة لهم في مكة ، وإن كان هناك بعض اليهود الذين أسلموا وحسن إسلامهم ، فلما اشتدت عداوتهم للإسلام وحربهم للمسلمين ، قال النبي ﷺ لأصحابه :

- « من ظفرتم به من اليهود فاقتلوه » ..

وكان من يهود المدينة أخوان أحدهما اسمه محيصة والآخر اسمه حويصة ، فأسلم محيصة وبقي حويصة على شركه ..

وذات يوم قتل محيصة تاجرا يهوديا اسمه سينة ، فغضب حويصة ، وأخذ يضرب أخاه ويقول :

- قتلته وشحم بطنك من ماله ؟

فقال محيصة :

- والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني

